

قضايا وأراء نقدية في مقدمات

- مدونات رشيد بن مالك -

Views and critical issues in introductions, in Rachid BenMalek's blogs.

د. لعجال لكحل †

/ تاريخ القبول: 2021-04-01

تاريخ الاستلام: 2020-04-01

ملخص: للمؤلفات مقدمات، وقد أولى الدارسون أهمية لتناولها بالدراسة والتحصيل والنقد، تلك المقدمات لها دور بالغ في فهم معنى المتن وقراءة التوجهات والآراء الفكرية لصاحبها، سواء كانت مقدمات ذاتية من لدن المؤلف أم غيرية في محاولة منا الوقوف عند أهم الآراء والقضايا النقدية التي أثّرت في خطاب المقدمات.

نسعى هنا إلى رصد خطاب مقدمات رشيد بن مالك التي يطلق عليها في الكثير من الأحيان "مقدمات منهجية"، أو تلك المقدمات الواردة من الآخرين والتي يراد منها التزكية أو الاحاطة بمضمون المتن.

كلمات مفتاحية: قضايا نقدية؛ مقدمات؛ مدونات؛ لعجال لكحل؛ رشيد بن مالك.

Abstract : Literary productions have introductions. And scholars have given it a significant importance to study, clarify and criticise it. Those introductions have a great role to understand the meaning of the content and study the orientations and intellectual opinions of its writer, whether they were personal introductions written by the author himself, or by someone else .

In an attempt to stand at the most important views and critical issues that were exposed in the introductory's speech. We aim here to observe the

† جامعة الحاج لخضر باتنة 1 laadjal.lakhal@univ-batna.dz (المؤلف المرسل)

introductions' speech of Rachid BenMalek which are often called "methodological introductions", or those introductions made by others, by which, it is aimed to praise or to comprehend the content.

Keywords: Critical issues; introductions; blogs; Rachid BenMalek; Laadjal

Lakhal

تقديم: عرفت الدراسات الأدبية المعاصرة حركة متزايدة التسارع في ترجمة الإنتاج الغربي عموما و لعل ذلك يعود أساسا إلى موقف حضاري راهن بين حضارة الغربي المهيمنة بكل أليات سطوتها, و حضارة المسلمين عموما و العربي خصوصا بكل ما تنوء به من ثقل موزع بين ماضي يحمل تراثا ضخما تعسر على الأجيال الراهنة هضمه واستيعاب ما يزخر به وحاضر يضغط بسطوة إنتاج الحضارة الغربية المهيمنة التي لا تملك هذه الأجيال إمكانات استيعاب منتجاتها على كافة الأصعدة و منها زخم الإنتاج في الدراسات النقدية الأدبية, فوقفت الأجيال العربية موقف من يتمزق بين قوتين متنافرتين .

ولأن الموضوع المطروح يخص قضايا نقدية ويتخذ من مقدمات مدونات رشيد بن مالك ميدانا للبحث والدراسة؛ التي من الواجب أن تتحرى الموضوعية وتتجاوز أهواء الذاتية كان لزاما أولا أن نشير إلى تقسيم الخطاب المقدماتي وقد ارتأينا أن ننوه إلى هشام موساوي الذي يقسم الخطاب المقدماتي زمنيا إلى ثلاثة أقسام: خطاب المقدماتي الأصلي، خطاب المقدماتي المتأخر، خطاب المقدماتي البعدي. و تداوليا إلى ثلاثة أقسام أيضا: خطاب المقدماتي الذاتي، خطاب المقدماتي الغيري، خطاب المقدمات المشترك (هشام موساوي 2017)⁽¹⁾, و ثانيا المبادرة إلى تحديد مدار مقدمات رشيد بن مالك في مدوناته التالية:

السيمائية، الأصول، القواعد، التاريخ. 1-

2- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص.

السيمائية مدرسة باريس. 3-

4- من المعجميات الى السيميائيات.

5-السيمائيات السردية.

وفي هذه المدونات يمكننا أن نصنف خطاب المقدماتي الى قسمين:

خطاب المقدماتي الذاتي: الذي يكتبه رشيد بن مالك. -

خطاب المقدماتي الغيري: الذي يكتبه شخص آخر. -

و قد رصدنا ذلك في الجدول الموالي:

الجدول رقم 1: جدول يرصد مقدمات مدونات رشيد بن مالك

المدونات	مقدمة رشيد بن مالك	مقدمة الغيري
السيمائية, الأصول, القواعد, التاريخ	مقدمة ص7	- عز الدين المناصرة تمهيد: شعرية المنهج السيمائي في اللغة والثقافة والشعر (قراءة منتاجية) ص23 مقدمة المؤلفة - آن اينو ص65 (للطبعة العربية) مقدمة المؤلف - جان كلود كوكي (للطبعة العربية) ص 261

قاموس التحليل للمصطلحات السيمائية	افتتاح ص 5 مقدمة ص 10	كلمة تقديم - عبد الحميد بورايو ص 7
السيمائية مدرسة باريس	مقدمة المترجم ص 5	تقديم المؤلف - جان كلود كوكي ص 13
من المعجمات الى السيمائيات	اعتبارات أولية ص 7	/
السيمائيات السردية	مقدمة ص 7	/

المصدر: لجال لكل 2020

وبما أن السيمياء المعاصرة منشأها غربي في ظل سياقها اللغوي و الفكري متباين عن مناخ المتلقي العربي فإن قناة التلقي حينها هي الترجمة و ذلك ما نستشفه من خلال المدونات و الجدول حيث استطعنا ضبط خمس قضايا، نراها تقتضي التنقيب و المحاوره.

1. قضية المحاوره العلمية:

تقتضي المحاوره العلمية جملة من المعلومات أهمها: تحديد المفاهيم والمصطلح السيميائي وما يقابله في لغة الهدف مع التمكن من اللغتين لغة النص واللغة المستهدفة - المترجم اليها- . مع الإشارة إلى عُسْر نقل المعاني من اللغة الأم إلى اللغة المُترجم إليها نظراً لفارق الدقة في استعمال الألفاظ ومراعاة أصل الوضع وخاصة في اللغة العربية التي يشير بعض علمائها الذين يُعْتَدُّ بقولهم في قضية القول بعدم وجود الترادف في اللغة وأن لكل لفظ معناه المحدد. وهذا الإشكال يتجلى بوضوح في اختلاف الترجمة بين المشتغلين بترجمة الأصول السيمائية للمصطلح الواحد.

1.1 : محاوره المتلقين العرب:

إن المتتبع للدرس السيميائي يجد تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد لذا نجد رشيد بن مالك يقف عند هذه الاشكالية و يحاول التثبيت و التدقيق في تأصيل المفاهيم السيميائية و على سبيل المثال محاوره أقرانه من العرب لتثبيت المصطلح المقابل للمصطلح الفرنسي (Manipulation) أو شبيهه (Usage) حيث يتبنى عبد الحميد بورايو المقابل العربي (الايغاز) بينما مال سعيد بنكراد إلى مصطلح (التحريك) فبينما يتحفظ رشيد بن مالك على المصطلحين السابقين و يقترح مصطلح (التفعيل) معللا ذلك أن التفعيل في صيغته العربية و دلالاته المفهومية يغطي المسارات الدلالية لفعل الفعل (Faire – faire). و قد زكى له اختياره هذا كل من الأساتذة عبد الحميد بورايو و بوزيدة عبد القادر ولم يكتف بذلك حتى اطمأن الى صديقه برنار بوتى.(رشيد بن مالك 2006)⁽²⁾

إن انقطاع التواصل والمحاوره بين أبناء اللغة الواحدة يؤدي إلى تشتت المفاهيم و تعدد المصطلحات باختلاف ثقافة كل متلق السبب الذي يؤدي في الغالب إلى رفض بعض طبقات متلقي العلم المترجم الى لغتهم و وقوفهم منهم موقفا سلبيا؛ فقد يصل ذلك بهم الى اتهام اللغة العربية مثلا بالقصور ورمي الباحثين بالعجز والتقصير. أو أولئك الذين يرفضون استقدام هذه العلوم الغربية بحجة خصوصية الثقافة العربية واختلاف المشارب وظروف إنتاج هذا العلم. و لعل ذلك ما دعا الباحث رشيد بن مالك إلى طرح التساؤل الإشكالي «هل نولي أهمية الى النصوص الخاصة بتاريخ البحث السيميائي أم نجنح إلى ترجمة البحوث النظرية و التطبيقية التي ظهرت قبل وفاة (أ.ج. غريماس)، وإذا احتفظنا بهذه الفرضية فإننا لا نشك في أن هذا الاختيار سيعزز حركة نشيطة في الترجمة وسيرافقها جدل كبير و قراءات نقدية في مضمون هذه النصوص» (رشيد بن ملك 2006).⁽³⁾ ويبدو أنه يحدد ترجمة الأصول السيميائية هي الأولوية الأولى رغم أنه بدأ بترجمة المصطلحات في نهاية الثمانينات. كما نوه إلى أن هذا الجهد سيقابل بجدل كبير نظراً لحساسية الموضوع وشراسة دفاعات كل طائفة من النقاد الذين سيسعون إلى إثبات صوابية ما يذهبون إليه من أراء. كما يذهب إلى أن ترجمة النصوص النظرية والتطبيقية سيخلق نوعا من الديناميكية العلمية التي تسهم في إثراء المكتبة النقدية العربية.

2.1 محاوره المنظرين الغربيين:

يتحتم أن تكون المحاور مبنية و مؤسسة على كفاءات متقابلة بين الباحثين الرواد العرب و الباحثين الغربيين في مجال السيمياء وذلك ما ذهب إليه (أ.ج. غريماس) «إن التأسيس للمشروع العلمي مرهون سلفا بتحويله إلى موضوع تحر جماعي» (آن إينو وآخرون 2008).⁽⁴⁾ ولم يكن رشيد بن مالك إلا تلميذ غريماس لذا يستوجب أن يكون الحوار مؤسسا على قناة موحدة لتحقيق غاية التواصل العلمي فقد جلس إلى كل من آن إينو وجان كلود كوكي؛ محاورا ومترجما لأهم البحوث السيميائية بل قدموا لترجماته وزكوا عمله «إن السيد رشيد بن مالك، عرف كيف يعيد اكتشاف الكلمة العتيقة (السيمياء) في أغوار اللغة العربية. و هكذا استطاع أن يضع ترجمة شديدة الدقة. و إني ليتمكنني أن أشهد على ذلك، اعتمادا على اللقاءات العديدة بيننا حيث كان في كل مرة يطلب مني توضيح (أو تبرير) هذه النقطة المحددة أو تلك، حتى في أدق التفاصيل» (آن إينو وآخرون 2008).⁽⁵⁾ و نحسب أن هذه المحاوره هي فخر و أنموذج للتحري العلمي للدارسين العرب. كما تعتبر تلك الشهادات تزكية للنتاج العلمي لهذه القامة العلمية إذ ليس من السهل افتكاك مثل هذا النوع من التركيات.

2. قضية تلقي السيمياء:

لتناول تلقي السيمياء لابد أن نلمح إلى واقعها وأفاق الدراسات في مضمارها ثم نخرج إلى واقعها وآفاقها عند العرب .

1.2 واقع السيمياء في الفكر الأوربي:

يحتاج ذلك أن يتمكن الباحث العربي الراغب و المرید لتلقي السيمياء أن يتقن ويجيد اللغة التي ظهرت في ظل مجتمع الدراسات السيميائية كمرحلة أولى ثم يتم ترجمة ما تلقاه إلى لغته و لذلك يقول رشيد بن مالك في مقدمته: «في إطار هذا التوجه وقع اختياري في بداية الامر على بحث موسوم ب" السيميائية الأدبية" (لميشال آريفيه) فترجمته و عرضت الترجمة عليه فقرأناها وناقشناها فقرة فقرة» (آن إينو وآخرون 2008) ⁽⁶⁾ فيفهم من ذلك كله؛ التمكن من لغة منشأ السيمياء و محاوره صاحب البحث قصد الإحاطة و استيعاب أهم مفاهيم الفكر السيميائي في أصوله في ظل التواضع العلمي لتحقيق الغاية العلمية وهو ما يضفي على الترجمة مزيدا من الدقة والموضوعية ويجعل لها القبول في أوساط الدارسين «...و لم تكن بيننا حواجز في جميع ما كنا نتناقشه من موضوعات وكنت أصغي إليه في اهتمام بالغ» (آن إينو

آخرون 2008)⁽⁷⁾ تلك الأسباب التي جعلت رشيد بن مالك تمكنه من استيعاب أصول الفكر السيميائي الغربي.

إن قولنا بتمكن رشيد بن مالك من استيعاب أصول الفكر السيميائي الغربي لا يعني بحال من الأحوال أننا حصرنا الجهود المعتبرة والدراسات الموثوقة ذات القيمة العلمية في جهوده، بل نحسب أن ثقافته المزدوجة وأخذه عن أساطين السيميائية الغربية مباشرة وعرض جهوده عنهم يشكل أساساً متيناً لجعل ترجماته وآرائه في هذا أكثر ترجيحاً من غيرها مع مراعاة عدم الإطلاق في هذا الرأي كذلك.

2.2 آفاق السيمياء في الفكر الأوربي :

تنتطق آفاق السيمياء في الفكر الغربي من فعل المتكلم في حياته اليومية وما يتداوله في كنف الحضارة التي ينتمي إليها وفي ظل اللغة التي يتواصل بها مع أفراد مجتمعه ومؤسساته ومختلف شرائحه إذ يذهب (ج. ر. سيرل J.A.searle) « إلى أن الوظيفة الأولى المباشرة للفعل الكلامي هي تغيير وضعية المتكلمين » (رشيد بن مالك 2006)⁽⁸⁾. كما يذهب (Grice. P.H) في اتجاه آخر ويؤسس مبدأ عاماً يكون « فاعلاً في استقلاليته عن فعل الكلام و يتحكم في التبليغ ويحكم إلى هذا المبدأ السلوك العقلاني للفرد الذي يؤسس مبدأ التعاون في التبادل التفاعلي حول مقاصد المساهمين »⁽⁹⁾. ولذلك تم الذهاب إلى توليفة أولى من الملفوظ إلى التلفظ 1991، وأقر بأن للموضوع السيميائي التلفظ الملفوظ الذي يحتوي ضمناً الملفوظ الملفوظ ثم إلى توليفة ثانية من اللفظ إلى الملفوظ 1995. وبذلك وضع مخططاً يتم إيجازه على النحو التالي: الموضوع السيميائي ومنه يتفرع شكل التعبير والذي بدوره يتفرع إلى الملفوظ الملفوظ والتلفظ الملفوظ، والملفوظ الملفوظ بدوره يتفرع إلى التركيب والدلالة، و التركيب يتفرع إلى السطح والعميق والدلالة تتفرع إلى صغرى وكبرى.

3.2- واقع السيمياء في العالم العربي:

تقف العديد من العوائق في سبيل تلقي السيمياء في العالم العربي و أهم تلك العوائق: العائق الأيديولوجي الفكري الذي يرفض بشدة إلحاق النقد العربي بما أنتجه الغرب من مفاهيم جديدة لم يألفها الفكر العربي ونمط مقارنة وافدة لم يمارسه الناقد العربي إلا بشكل محتشم، وكذا تأخر ترجمة ما تصدره الدوائر العلمية المتخصصة حيث إن المفاهيم الأولية لم تستوعب بعد في مضمار النقد العربي ثم خصوصية الثقافة العربية

فالمناهج الوافدة نشأت في ثقافة وإنتاج أدبي يختلف عن الإنتاج العربي، فضلا عن إشكالية ترجمة المصطلح التي أفقدت تماسك البحث العربي في نطاق السيميائية لأن أغلب الجهود فردية و كل باحث يعتمد على جهوده الفردية و ما يتوفر له من إمكانات مادية و معنوية « ويتضارب هذا التحديد مع التعريف الذي وضع للسيميائية و مجال اهتمامها. و هو مجال لا يتجاوز البحث في الدلالة من خلال تمظهرها في الأشكال اللسانية و غير اللسانية... »⁽¹⁰⁾ و يبرر رشيد بن مالك ذلك بأثلة متعددة كترجمة مصطلح (Carré sémiotique) بمربع دلالي مما يؤدي إلى ما ذهب إليه بأن الترجمات مضطربة و غامضة في مفاهيمها لا يدرك القارئ قوتها الإجرائية ولا يفهم علة وجودها.⁽¹¹⁾ و ذلك كله يعيق البحث العلمي الرصين في السيميائية ويؤدي إلى النفور من مثل هذه البحوث. كما إنه يشكل أساساً متيناً يستند إليه القائلون برفض المناهج الغربية إذ تصبح صور المنهج الواحد متباينة إلى حد التضارب.

4.2- آفاق السيميائية في العلم العربي:

لقد بذل بعض الباحثين جهودا يشكرون عليها لما تميزت به من جرأة في الإقدام على مضمار بحثي كان منشأه الغرب عن طريق شق قناة المحاوراة بواسطة الترجمة و بذلوا قصارى طاقتهم في نقل ما جادت به الدوائر العلمية في الغرب لإفادة البحث السيميائي في كنف العربية « و قد حاولت هذه البحوث بقدر الإمكان تجاوز بعض المعضلات المفهومية و الصعوبة الفعلية في النص السيميائي الأوربي نفسه »⁽¹²⁾ و كلها جهود معتبرة فتحت آفاق الدرس السيميائي أمام الباحثين الجدد وسعت إلى تمهيد السبيل أمامهم لإفادتهم و لا يحقق الفائدة في لغتهم مما يجعلها مواكبة للفعل البحث الراهن و لعل الآفاق التي فتحت أمامهم خاصة في الدراسات النقدية ارتقت من الدراسات المعيارية إلى الدراسات العلمية الدقيقة.

3- قضية ترجمة المصطلح

إن المصطلح إذا كان قد نشأ في لغة ما يحتاج إلى الإلمام الكامل بتك اللغة و الإحاطة بالموضوع الذي يدور في فلكه أين يكون الباحث حصيفا متمكنا في اللغة التي ينقل إليها و من الجدارة بمكان أن يكون نقل المصطلحات في ظل دوائر علمية تلتزم بقواعد البحث العلمي و منهجه و روحه و أخلاقه و موضوعيته و لذلك كان من الحري أن يكون للمصطلح السيميائي غايتان إحداها بيداغوجية والثانية علمية:

1.3- الغاية البيداغوجية:

الغاية البيداغوجية هي أن تكون للمصطلح جملة أهداف يتوخاها ما أُتيحت له الفرصة و هي انخراط الباحثين في مضمار واحد يقرب بينهم و يجعلهم يستفيدون من بعضهم البعض في نطاق استراتيجية مشتركة تزيد البحث العلمي نماءً و تقدماً « من خلال اقتراح منظومة من الاصطلاحات, سوف تقرب ما بين السيميائيين العرب, إذا ما تم الالتزام بها أو على الأقل تمت مراعاتها عند طرح إشكالية المصطلح ». (13) إن مثل هذه المنظومة يشكل مرجعية فكرية تسهم في توحيد المصطلح وتضييق دائرة الخلاف بين النقاد من جهة وبين من يرون ضرورة الاستغناء عن هذه المناهج من جهة أخرى إذا ما توحدت الجهود لتصبح أكثر فاعلية وإنتاجاً معرفياً يقنع المخالفين، كما أن الهدف و الغاية البيداغوجية رفع الخوف الذي يتسرب إلى نفوس الطلبة و كذا هاجس بعض الباحثين و ذلك ما يشخصه رشيد بن مالك في مقدمة قاموسه « كانت تلك الصعوبات ناجمة أصلاً عن نقص في الاستعداد للطلبة مع هذا المنهج الجديد في غمرة طغيان المناهج التقليدية المألوفة, و عن تخوف بعض الدوائر العلمية في الجامعة الجزائرية حين إذن [حينئذ] من التيار "الوافد من الغرب". و سرعان ما تحول هذا التخوف إلى رفض ثم عداً ثم اقضاء. » (14) و قد تم استهداف و تجاوز تلك العقبة إلى حد ما بعد تجربة و تمحيص في حجرة الدرس و التأليف.

2.3- الغاية العلمية:

يمكن استهداف غاية علمية لترجمة المصطلح وذلك بتوفير الآليات العلمية والمنهجية للباحث الذي يكون بصدد الخوض في مضمار السيميائيات، فضلاً عن ضبط المفهوم بدقة منهجية علمية، وصياغة لغوية دقيقة تذلل المعوقات التقنية والمفهومية لضبط البحث السيميائي ضبطاً محكماً علمياً، يقربه من دائرة المتلقي. فتيسير التناول وإتاحة المعرفة السيميائية وخاصة لفئة النقاد وطلاب الدراسات العليا أضحت ضرورة تملئها شروط البحوث التي تقترب أكثر فأكثر من العلمية، وهذا النوع من البحوث العلمية تخرج بالنقد العربي من الرؤية المعيارية الموروثة التقليدية التي تجاوزها الزمن أوفي بعض جوانبه، و لن يتأتى ذلك إلا بالتمحيص و الإدارة. وقد يكون قاموس التحليل السيميائي للنصوص تجربة ثرية و مهمة فالقاموس « كثمره لممارسة متخصص بالمعنى الدقيق للكلمة، دامت حوالي عشرين من الزمن (الثمانينيات والتسعينيات)، وهي ممارسة زاوجت بين النظرية و التطبيق » (15). و تلك تركية في "كلمة تقديم" لعبد الحميد بورايو. فهذه الجهود على قلتها تمثل قسماً ينير درب الباحثين ويعطيهم المثال والقُدوة في تذليل عقبات نقل المناهج النقدية.

4- قضية خصوصية النص العربي:

المنهج السيميائي غربي النشأة، فهو دخیل على الأدب العربي ولغته العربية. و ما شهدته في سياقاته التاريخية و الحضارية و الاجتماعية و لغرض توخي الموضوعية و المغايرة بين تطبيقه على النصوص في ثقافتها السبب الذي دعا طرح إشكالية خاصة للنص الأدبي التراثي والمعاصر.

1.4- النص العربي المعاصر:

النص العربي المعاصر مرآة للزخم الحضاري المتلاطم في وقتنا الحاضر و أهله تزودوا بالحضارة الغربية المهيمنة حاليا بكل وسائلها و إنتاجاتها وهنا يمكن أن نميز بين تيارين متباينين أيما يباين : التيار التغريبي الذي دعى إلى الانسلاخ عن الموروث الذي لم يعد يواكب الحداثة والحضارة الانسانية الحالية وتيار حاول الاستفادة من العلوم عامة والمناهج الأدبية على وجه الخصوص مع الاحتفاظ بالخصوصية الثقافية للنص العربي حتى وإن صيغ على منوال غربي أو مجارة لألوان أدبية لم يعرفها التراث الأدبي العربي، إلا أن المادة اللغوية التي تشكل بنية النص تبقى عربية تستمد معانيها وكنهها من الثقافة العربية ذات الخصوصية الحضارية وخصوصية الانتماء. و قد يجد الباحث سهولة أكبر و عوائق أقل في تطبيق المنهج السيميائي على نصوصه خاصة السردية منها القصة و الرواية و يبدو ذلك جليا في تطبيق المنهج السيميائي التحليلي في رواية "توار اللوز" التي يعلق عنها رشيد بن مالك قائلا: « يسمي فيها الكاتب الأشياء بأسمائها بغرض إقامة تواصل مباشر وشفاف مع القارئ، وبهدف تحريكه التي سيمر بها حتما نصه الروائي»⁽¹⁶⁾. و حين صبر أغوارها يجد لها ثلاثة مستويات يراها - رشيد بن مالك - من السهولة إدراكها دون بذل جهد كبير في تطبيق المنهج السيميائي: « يقوم هذا الملفوظ على ثلاثة برامج: / التأمل / و / المعرفة / و / العلم / »⁽¹⁷⁾. و لعل ذلك من خصوصية النص المعاصر و لخصوصية الروائي واسيني الأعرج المنفتح على الآداب الغربية و مناهجها النقدية الحديثة و لها بالغ الأثر في بنائه الأدبي و تشكيله الفني. فتقافة صاحب النص واطلاعه على المناهج الحداثية وكذا احتكاكه بالثقافة الغربية ونسجه على منوال أدبهم يعطي فرصة نجاح أكبر عند المقاربة وفق هذه المناهج. إلا أن السؤال المطروح هل مراعاة مناهج التحليل ومجارة قوالب أدبية يحد من حرية التعبير الفني ويجعله رهين أطر مسبقة تتحكم في شكله النهائي أم أن الخاصية الإبداعية عند المؤلف سوف تتمكن من تخطي مثل هذه العوائق؟.

1.4- النص العربي التراثي:

يمثل النص العربي التراثي مرآة عاكسة لمعطيات عصر تاريخي له هويته الحضارية يتميز عن العصر الحالي بكل ما يشمل منتجاته الأدبية من ملابس حضارية و ثقافية و اجتماعية كانت هي الكنف الذي نشأ فيه بلغته التي في عمومها لها صلة وطيدة بلغتنا العربية الراهنة لفظا و تركيبا و أسلوبا و سياقا لذا يتحتم مراعاة تلك السياقات التي لا يمكن بحال من الأحوال أن نتخذ منها ذريعة لرفض مقارنة تلك النصوص بآليات المناهج الحديثة لأن ذلك ممكن جداً إذا ما حاولنا تطويع تلك المناهج وفق الخصوصية التي تتميز بها النص العربي وكذا الابتعاد عن المعيارية والتشبث بالمقاربات التي تجاوزتها حركية الفكر النقدي الذي بات يقدم قراءة جديدة وفق أسس جديدة هي أقرب للعلمية والشمولية من المناهج القديمة ف رشيد بن مالك حين يتناول كليله و دمنة بالدراسة السيميائية يقول: «و قد حاولنا بقدر الإمكان، في أثناء تعاملنا مع هذه النصوص، تجاوز المعضلة المصطلحية بتبسيط الخطاب النقدي رغبة منا في تحقيق الوصلة العلمية بالقارئ العربي. كما حاولنا تنويع زوايا النظر في النص باستغلال القضايا النظرية السيميائية دون التقيد الآلي بها،»⁽¹⁸⁾ وهنا يشير رشيد بن مالك إلى قضية غاية في الأهمية وهي عدم التقيد الآلي بوسائل المناهج وآلياتها في التحليل لأن المادة التي نعالجها ليست نموذجاً واحداً يمكن تعميم نتائجه على باقي أفراد العينة كما في العلوم الدقيقة بل نصوص تتميز بالتباين والاختلاف إلى درجة أنه يمكننا أن نميز كل نص بشخصيته المنفردة عن باقي النصوص الأخرى و يرى أن كليله و دمنة نص مستوياته متعددة و متباينة و مع ذلك فهي متماسكة بعضها ببعض «إذا استندنا إلى النص، فإننا لا نستطيع أن نحدث انقطاعاً في المتصل الخطابي لكليله و دمنة، و ننظر إلى الحكايات نظرة خارجية عن هذا المتصل المنضوي داخل الجهاز التلفظي الذي ترتب الحكايات [على لسان الحيوان] إلى وجوده. إن بيدبا وديبشليم حاضران في النص الحكائي»⁽¹⁹⁾. في إشارة ضمنية إلى النظرة غير الموفقة منهجياً لدارسي المنهج السيميائي للباحثين العرب في تطبيقهم على كليله و دمنة؛ الذي أفضى إلى السياقات المصاحبة للحقبة التاريخية لها من سياسية واجتماعية و ثقافية وحضارية في استراتيجية سيميائية خاص بعصر مضى إلى عصر يتميز بالحركة والفاعلية و ذلك نوع من الاستثمار الفني للنصوص الموروثة وتحميلها مالا تحتل في ظل منهج يباعد بين النص و استثمار سياقاته. وهنا تكمن أهمية ضرورة توحيد الرؤى في نقل آليات المناهج الحديثة وكذا بيان السبل والغايات والمرجوة منها حال تطبيقها على النصوص العربية عامة والنصوص التراثية على وجه الخصوص.

5- أولويات فعل الترجمة ومبدأ المراجعة

1.5- أولويات الترجمة عند رشيد بن مالك:

يرى رشيد بن مالك أن أهم أولويات الترجمة المستهدفة فتح آفاق جديدة ميسورة للدارس العربي تسهل أبواب التواصل مع النتاج الفكر الغربي على وجه مخصوص متبنيا المنهج السيميائي فقد رصد و ترجم أصول و منجزات الحركة السيميائية ذات التوجه الغريماسي⁽²⁰⁾ كما استهدف إثراء المكتبة العربية التي تحتاج إلى مواكبة العصر و تلك الغايات التي يصبو إليها و يؤكد لها في ترجماته كلها دون استثناء. سعيًا منه إلى تمكين الطلبة الناشئين من منهج حديث يساعدهم في تلقي النص الأدبي والتفاعل معه بشكل إيجابي بعيدا عن المقاربات الكلاسيكية التي لا تكشف الجوانب الإبداعية للنص بقدر ما تقدم أحكاما معيارية لا تقيد في كشف جماليات النص في شيء. فرشيد بن مالك يصبو إلى تزويد الطلبة والنقاد بآلية أقرب للعلمية تمكنهم من مقارنة النصوص سواء كان النص تراثيا أو معاصرا، اسهاما في وصل المنهج السيميائي بالتحري العلمي. ولعل هذه الرغبة وتلك الغاية هي ما دفعه إلى تلك المقدمات التي ارتأينا مدارستها للوقوف وتتبع الرؤية المنهجية والغاية العلمية من جهود رشيد بن مالك العلمية

2.5- مبدأ المراجعة عند رشيد بن مالك:

تقتضي الأمانة العلمية والبحث الرصين الذي يهدف إلى بلوغ حد كبير من الدقة والموضوعية المراجعة الدائبة والتعديل المستمر متى ما ظهر خلل يعيق بلوغ الهدف المرسوم والغاية المنشودة ولا يصلح لمثل هذه المهمة مثل أهل الاختصاص من أصحاب الصنعة ممن يتقنون رصد الخلل والنقاط مواضع النقص مما يسهل تداركها وتصويبها وهو الأمر الذي دعا رشيد بن مالك إلى مبدأ المراجعة الذي يعد مبدأ أساسيا في مراجعته لترجماته فهو باحث زواج بين النظرية و التطبيق إثباتا لإمكانية مقارنة النصوص العربية وفق المنهج السيميائي وكذا توخي غايات تعليمية تخص الجانب التطبيقي في ما يخص الطلبة خاصة وهو أستاذ للمادة بالجامعة , رغم ذلك قصد الدقة والتحري لتأصيل المفاهيم معتمدا على عدة أنواع من المراجعة: المراجعة الذاتية, المراجعة المتخصصة, المراجعة العامة, المراجعة الكاملة, المراجعة المتعددة...⁽²¹⁾ فاتخذ زمرة من الباحثين مراجعين لبحوثه السيميائية, مشهودا لهم بالدقة والضبط والبحث والروح العلمية المتميزة بقوة الإرادة و روح المبادرة و الرصانة مثل: عز الدين المناصرة, عبد القادر بوزيدة, عبد الحميد بورايو, سعيد بنكراد, جان كلود كوكي و آن اينو. وهو ما أعطى بحوثه بعدا علميا أدعى للوثوق بها.

خاتمة:

في نهاية هذا الاستقصاء البحثي في مدونات رشيد بن مالك يمكننا حوصلة مجموعة من النتائج أهمها:

- تميزت تلك المقدمات في مدونات رشيد بن مالك بالثراء والتنوع وتعد طرعا لقضايا منهجية و تنظيرية.
- ركزت مقدمات المدونات على مدرسة باريس خاصة السردية وروادها؛ ترجمة وممارسة وتطبيقا.
- يهدف خطاب المقدمات في مدونات رشيد بن مالك إلى المحاور العلمية مع الباحثين والنقاد العرب قصد مراعاة سياقات التلقي ومحاور المنظرين الغربيين لإدراك المضامين العلمية والبحثية في أصولها.
- بعد البحث والمحاور والتجريب يدرك رشيد بن مالك أن أولوية الترجمة تتمثل في نقل وترجمة الأصول البحثية في الدرس السيميائي.
- مبدأ المراجعة عند رشيد بن مالك انفتاح وتحرر في علاقاته مع الباحثين العرب ورواد مدرسة باريس السيميائية.
- بعض المقدمات تعرض عناء الباحث العربي ومشكلاته الاجتماعية والفكرية.
- تعتبر المقدمات الغيرية تركية لأعمال الباحث واسهام وإثراء لـ البحث العلمي في تلقي المنهج السيميائي.

. قائمة المصادر والمراجع: §

- آن اينو وآخرون: السيميائية الأصول، القواعد والتاريخ، تر: رشيد بن مالك، مر و تق: عزالدين المناصرة، ط1، 2008، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
- جان كلود كوكي: السيميائية مدرسة باريس، تر: رشيد بن مالك، تق: جان كلود كوكي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
- رشيد بن مالك: السيميائيات السردية، ط1، 2006، مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- :----- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، 2000.
- :----- من المعجميات الى السيميائيات ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، ط1، 2014، عمان، الأردن.
- لـعجال لكحل: المقاربة السيميائية عند رشيد بن مالك، مذكرة من متطلبات الحصول على شهادة الدكتوراه الطور الثالث - غير مطبوعة - اشراف: هاجر مدقن، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2016/2017.

- هشام موساوي: الخطاب المقدماتي المغربي - روايات الطاهر وطّار أنموذجا--، مجلة العلامة، ع5، ديسمبر 2017، مخبر اللسانيات النصية و تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/92005>

هوامش

-
- 1- ينظر هشام موساوي: الخطاب المقدماتي المغربي - روايات الطاهر وطّار أنموذجا-، مجلة العلامة، ع5، ديسمبر 2017، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص16-
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/92005>.17
 - 2- ينظر رشيد بن مالك: السيميائيات السردية، ط1، 2006، مجلّلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص107.
 - 3- ينظر رشيد بن مالك: السيميائيات السردية، المرجع نفسه، ص26-27.
 - 4- آن اينو وآخرون: السيميائية الأصول، القواعد والتاريخ، تر: رشيد بن مالك، مر و تق: عزالدين المناصرة، ط1، 2008، دار مجلّلاوي للنشر والتوزيع، ص16.
 - 5- آن اينو وآخرون: المرجع نفسه، ص66.
 - 6- المرجع نفسه: ص7.

- 7- المرجع نفسه ص10.
- 8- رشيد بن مالك: السيميائيات السردية, مرجع سبق ذكره, ص13 .
- 9- المرجع نفسه, ص15-16.
- 10- رشيد بن مالك: المرجع السابق, ص29. نقلا عن Jean-Marie Floch, Sémiotique , Marketing et communication; sous les signes; les stratégies, PYF; 2002;p.4.
- 11- ينظر المرجع نفسه: ص29.
- 12- رشيد بن مالك: المرجع السابق, ص34.
- 13- رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص, دار الحكمة, 2000, ص8.
- 14- القاموس رشيد بن مالك: ص10.
- 15- القاموس رشيد بن مالك, ص7.
- 16- رشيد بن مالك: السيميائيات السردية, ص72.
- 17- المرجع نفسه: ص77
- 18- رشيد بن مالك: من المعجميات الى السيميائيات , دار مجدلاوي للنشر والتوزيع, ط1, 2014, عمان, الأردن, ص275.
- 19- المرجع السابق, ص277.
- 20- ينظر جان كلود كوكي: السيميائية مدرسة باريس, تر: رشيد بن مالك, تق: جان كلود كوكي, دار الغرب للنشر والتوزيع, وهران, الجزائر, ص08.
- 21- ينظر لعجال لكحل: المقاربة السيميائية عند رشيد بن مالك, مذكرة من متطلبات الحصول على شهادة الدكتوراه الطور الثالث- غير مطبوعة- اشراف: هاجر مدقن, جامعة قاصدي مرباح ورقلة, 2016/2017, ص119.126 .